محطات رحلة الإنسان

عالم الذر، عالم الدنيا، عالم الآخرة

أ. د. سَمِير الشَّاعِر

أستاذٌ جامعيٌّ وخبيرٌ ماليٌّ إداريٌّ وشرعيٌّ

1443هـ - 2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحطة الأولى

عالم الذر

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: 172]

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم واللالكائي في السنة عن ابن عباس في قوله ﴿وإذ أخذ ربك﴾ الآية. قال: إن الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر، فقال لهم: من ربكم؟ فقالوا: الله ربنا. ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة.[1]

إن البشرية حين خرجت إلى عالم الذر انحصرت جميعاً قُدّام آدم ونظر إليهم بعينه كما في رواية الترمذي، وخاطبهم الله - سبحانه -: ألست بربكم، فقالوا: بلى". قال القرطبي: "أخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأن لا إله غيره. فأقروا بذلك والتزموه، وأعلمهم أنه سيبعث إليهم الرسل، فشهد بعضهم على بعض".[2] ثم أعادهم الباري إلى صلب آدم، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق.[3]

يسمى عالم الذر، ويسمى عهد الذر وميثاق الذر ويوم ألست؛ وهو:

[1] تفسير السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، سورة الأعراف 172، https://www.greattafsirs.com/.
[2] الجامع لأحكام القرآن (7/200).
[3] حاشية الصاوي (2/106).

عالم حقيقي، وكل واحد منا شهده ووعاه،[1] وقد رأى بعض العلماء أن فطرة الإيمان أصلها ذلك العهد البعيد الذي أخذه الله - سبحانه - على الإنسانية، وجاء إرسال الرسل تذكيراً بالعهد، وإقامة للحجة.[2]

قال الشعراوي في ميثاق الذر: "لولا هذه المشاهدة لما استطاع إنسان أن يستوعب قضية الإيمان بالغيب، وفي قمتها الإيمان بوجود إله".[3]

واخُتلف في الموضع الذي أخذ فيه الميثاق حين أخرجوا على أربعة أقوال فقال ابن عباس: ببطن نَعْمان، وادٍ إلى جنب عَرفة. وروىٰ عنه أن ذلك برَهْبَا ـ أرض بالهند ـ الذي هبط فيه آدم عليه السلام. وقال يحيىٰ بن سلام قال ابن عباس في هذه الآية: أهبط الله آدم بالهند، ثم مسح على ظهره فأخرج منه كل نَسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ قال يحيىٰ قال الحسن: ثم أعادهم في صُلب آدم عليه السلام. وقال الكَلْبِي: بين مكة والطائف. وقال السُّدِّيّ: في السماء الدنيا حين أهبط من الجنة إليها.[4]

---

[1] حاشية الصاوي (2/107).
[2] الجامع لأحكام القرآن (7/201)، شفاء العليل ص: (28)، تفسير ابن كثير (2/265).
[3] الموت والحياة، لمحمد متولي الشعراوي، سلسلة مكتبة الشعراوي الإسلامية، مصر، ص: (9).
[4] القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، سورة الأعراف 172، https://www.altafsir.com.

المحطة الثانية

عالم الدنيا

يدخل الإنسان عالم الحياة الدنيا "محطة التكليف والامتحان" **بالولادة،** وتسبقها فترة تمهيدية داخل رحم الأم، وتنقسم إلى مرحلتين:

1. مرحلة ما قبل نفخ الروح: هي حياة نماء شبيهة بحياة النبات
2. مرحلة نفخ الروح: وهي الحال التي سيدخل بها الحياة الدنيا مزوداً بالعقل ليتميز به عن الحيوان ذي الروح.

يفرق ابن قيم الجوزية بين الحياة وبين الروح، فالجنين قبل نفخ الروح فيه يكون حياً، فيه نمو واغتذاء، فإذا نفخت فيه الروح انضمت حسيته إلى حركة نموه واغتذائه.[1]

عن أبى عبد الرحمن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق -: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك؛ ثم يكون مضغة مثل ذلك؛ ثم يرسل إليه الملك ؛ فينفخ فيه الروح ؛ ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد ؛ فو الله الذي لا إله غيره ؛ إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل النار ؛ فيدخلها ؛ وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة؛ فيدخلها»2.

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً بل خلقه لهدف وغاية وهي معرفته تعالى وعبادته، فالمعرفة والعبادة وأداء حق الطاعة والالتزام بالتكاليف الإلهية بالنسبة للإنسان هي الهدف الحقيقي من الخلق، لأن الإنسان هو محل الاختبار بهذه التكاليف لما خصّه الله تعالى من إيجاد

[1] ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص345.
[2] رواه البخاري ومسلم.

نعمة العقل عنده الذي يميز فيه بين الحق والباطل وبين المصالح والمفاسد، لذلك كان النداء من الله سبحانه وتعالى للناس بل وللذين امنوا أن يؤمنوا بالله، وأن يلتزموا بتعاليم الله من خلال الالتزام بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله.[1]

مدارُ العبادةِ في اللغة والشرع:[2] العبادةُ في **اللغة** من الذلة، يقال: طريقٌ معبّدٌ، وبعيرٌ معبَّد، أي: مذّلل. وفي **الشرع** عبارةٌ عمّا يجمعُ كمالَ المحبّةِ، والخضوعِ، والخوفِ. **والعبادة في تعريفها الشامل هي:** اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ، فالصلاةُ، والزكاةُ، والصيامُ، والحج، وصدقُ الحديث، وأداءُ الأمانة، وبرُّ الوالدين، وصلةُ الأرحام، والوفاءُ بالعهود، والأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، وجهادُ الكفّارِ والمنافقينِ، والإحسانُ إلى الجار واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السبيل والمملوكِ من الآدميين والبهائمِ، والدعاءِ، والذكرِ، وقراءةِ القرآن الكريم، وأمثال ذلك هي من العبادة، وكذلك حبُّ اللهِ ورسوله صلى الله عليه وسلم، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاصُ الدين له، والصبرُ لحكمه، والشكرُ لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكلُ عليه، والرجاءُ لرحمته، والخوفُ من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله. وذلك أنَّ العبادةَ هي الغايةُ المحبوبةُ له، والمرضيةُ له، التي خَلقَ الخلقَ لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ *﴾ [الذاريات:56]

وليعلم الإنسان أن الله تعالى **"لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه".**[3] ومعناها مفصل في الحديث القدسي: " يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي".[4]

قال تعالى: ﴿ وما خلقتُ الجنّ والإنْسَ إلا ليعبُدُون* ما أُريدُ منهم من رزقٍ وما أريدُ أن يُطعِمون* إنّ الله هو الرزّاق ذو القوّة المتين* فإنّ للذين ظلَموا ذنوباً مثْل ذنُوب أصحابهم فلا يستعجلون* فويلٌ للذين كفروا من يومِهِم الذي يوعَدون﴾ [الذاريات:56-60].

---

[1] ا العقيدة الإسلامية، الهدف من خلق الإنسان، https://www.almaaref.org ، بتصرف.
[2] د. علي الصلابي، في معنى العبادة وشروطها وحقيقتها، https://www.aljazeera.net/blogs ، بتصرف.
[3] نهج البلاغة، صفات المتقين، من كلام الإمام علي رضي الله عنه في نصيحته لصاحبه همام، https://almenbar.org/books.
[4] صحيح مسلم،[2577].

المحطة الثالثة

عالم الآخرة

يدخل الإنسان عالم الحياة الآخرة "محطة الحساب ونيل الجزاء" **بالموت،** تستهل هذه المحطة بعالم البرزخ الذي ينتهي بقيام الساعة.

قال ابن القيم: إن الله جعل **الدور ثلاثا**: دار **الدنيا** ، ودار **البرزخ** ، ودار **القرار** ، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن وروح ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت النفوس خلافه ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبعا لها ، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا ، فتألمت بألمها والتذت براحتها ، فإن الأبدان تتبع الأرواح في أحكام البرزخ في نعيمها وعذابها[1] حتى إذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين.[2]

البرزخ هو أول دار الجزاء ، وعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها ، وهو مشتق منه.[3]

معنى البرزخ **لغةً**: هو ما بين كل شيئين، بحيث يكون هو الفاصل والحاجز بينهما، ومن هنا يقال للميت في قبره إنّه في حياة البرزخ، لأنه انتقل إلى مرحلةٍ بين الدنيا والآخرة، والبرزخ: الحياة التي تفصل بين الدنيا والآخرة.[4]

حياة البرزخ في **الاصطلاح** هي:[5] الفترة الفاصلة بين الدنيا والآخرة، ولهذه المرحلة عالمٌ خاص مختلفٌ عن الحياة الدنيا وعن الآخرة، يَرِدُ عليها الناس جميعاً بعد الموت.

---

[1] الروح لابن القيم ص 91 بتصرف، نقلاً عن الموسوعة الفقهية الكويتية، 259/39.
[2] الروح ص 74.
[3] الموسوعة الفقهية الكويتية، 259/39.
[4] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، العين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، صفحة 338، جزء 4. بتصرّف. نقلاً عن موقع موضوع.كوم: https://mawdoo3.com.
[5] "مفهوم الحياة البرزخية"، إسلام ويب، 4-6-2012، بتصرّف. نقلاً عن موقع موضوع.كوم: https://mawdoo3.com.

معنى قيام الساعة ورد في كثير من آيات القرآن الكريم ، لكن يجب التدقيق في المقصود منها:

أولاً:قيام الساعة (فناء الخلق وموتهم).

ثانياً: يوم القيامة(اليوم الآخر: بعث الخلق بعد موتهم).

قال الإمام الطبري: فقال: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره.[1]

قيام الساعة: قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ۚ ﴾ قال الزجاج: معنى الساعة في كل القرآن الوقت التي تقوم فيه القيامة يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم"[2] وقال المناوي: قيام الساعة فإنه اليوم الذي يطوى فيه العالم ويخرب الدنيا وتبعث فيه الناس إلى منازلهم من الجنة والنار والساعة **اسم علم ليوم القيامة** سميت به لقربها ووصفها بالقيام لأنها اليوم ساكنة وإذا أراد الله إيجادها اتصفت بالحركة"[3]

أحداث يوم القيامة: اتفق العُلماء على أنّ أحداث يوم القيامة تبدأ بالبعث، ثُمّ النشور، ثُمّ الحشر، ثُمّ الحساب وفي الحساب يكون تطاير الصُحف والكُتب والميزان، ثُمّ الصراط، وقد اختلف العُلماء في الحوض هل يكون قبل الصراط أو بعده بناءً على الأدلة الواردة فيهما.[4]

1	النفخ في الصور	5	الحساب والجزاء
2	البعث والنشور	6	الميزان
3	الحشر	7	الحوض والصراط
4	الشفاعة	8	الجنة و النار.

[1] الطبري، تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، سورة لقمان، الأية 34.
[2] النهاية في غريب الحديث " ٢ / ٤٢٢.
[3] فيض القدير " ٣/ ٤٩٤
[4] ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، التعليق على شرح السنة للبربهاري، صفحة 14، جزء 2. بتصرّف. نقلاً عن موضوع.كوم: https://mawdoo3.com.